

التعريف بالقاضي عبد الجبار (*)

يعد قاضي القضاة من أعلام الفكر الإسلامي الذين يتجاوزون الزمان والمكان علما وفكراً والتزاماً بمبادئه لا يحيد عنها بحال من الأحوال. ولعل في هذه الإطلالة القصيرة ما ينبئنا عن مكانته وآثاره في الدفاع عن الإسلام ضد خصومه ومخالفيه.

١- نسبه:

هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمداني^(١) الأسد ابادي^(٢).

ويلقب بقاضي القضاة حتى إذا ما أطلق هذا اللقب لم ينصرف الذهن إلا إليه لدى المعتزلة، ويكنى بأبي الحسين.

٢- مولده:

لم تفصح كتب التراجم عن تاريخ مولد القاضي وإن كان يمكننا تحديد ذلك التاريخ من خلال ما ذكره المؤرخون أنه عاش تسعين عاما فإذا عرفنا أنه توفي عام ٤١٥ هـ كان من السهل معرفة أنه ولد في عام ٣٢٥ على جهة التقريب، وإن كان هناك من يذكر غير ذلك.

(*) عن كتاب المختار من تثبيت دلائل النبوة لصديقنا الأستاذ الشيخ رجب عبد المنصف ج١ طبعة مؤسسة دار التعاون بالقاهرة.

وانظر مصادر ترجمته في:

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للحاكم الجشمي ص ٣٤٥، وكذا طبقات المعتزلة لابن المرتضى، وتاريخ بغداد ١١٣/١١، والكامل لابن الأثير ٨/٦٩٤، ٩/١١١، ٣٢٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٩٧/٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/٢٤٤ والعبر ٢/٢٢٩.

ومن المصادر المعاصرة:

القاضي عبد الجبار وآراؤه الكلامية للدكتور عبد الكريم عثمان، والمعتزلة والفكر الحر - لعادل العو - ويلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار للدكتور عبد الفتاح لاشين.

(١) نسبه إلى مدينة همدان. (٢) نسبة أخرى إلى بلدة أسد أباد القريبة من همدان.

• نشأته:

كذلك تغفل كتب الطبقات الحديث عن نشأته وأسرته فليس لدينا معلومات مفصلة عن أسرته وكل ما نستنبطه منها أنه كان من أسرة فقيرة نسبياً.

وأنه تلقى دروسه الأولى في بلده (أسد أباد) على عادة القوم، ثم أخذ عن أعلام عصره وأشهرهم.

١- الزبير بن عبد الواحد الحافظ الثمة المتوفي سنة ٣٤٥هـ.

٢- الحافظ أبو سلمة القطان.

٣- القاسم بن أبي صالح الهمداني.

٤- محمد بن عبد الله الرامهرمزي^(١).

ويلاحظ أن هؤلاء الأعلام جميعاً كانوا من المحدثين مما يفسر لنا النشأة الأولى للقاضي حيث كان أشعري المذهب شافعي الفروع.

ثم ذهب بعد ذلك إلى أصبهان عام ٣٤٥ وهو العام الذي توفي فيه شيخه الزبير ليأخذ عن عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني ثم يستقر به المقام حيناً من الزمن في البصرة وهي يومئذ محط رحال العلماء ومركز الثقل في العلوم خاصة في مجال الاعتزال الذي تحول إليه القاضي بعد تعرفه على أبي إسحاق بن عياش عالم المعتزلة المشهور^(٢).

ثم استكمل رحلاته فسافر إلى العراق ثم انتقل إلى رامهرمز ليبدأ فيها أملاء موسوعته الضخمة (المعنى في أبواب التوحيد والعدل) ثم يستقر المقام بالقاضي في الري بعد أن استدعاه الصاحب بن عباد وعهد إليه بمنصب قاضي القضاة واستمر فيها حتى وفاة الصاحب.

(١) انظر في شيوخه هؤلاء لسان الميزان ٤٧٢/٢ وكذا شذرات الذهب.

(٢) انظر مقدمة د. لاشين ص ٥٠ بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار.

مكانته العلمية:

تبوأ القاضي عبد الجبار ذروة سنام الفكر الإسلامي خاصة لدى المعتزلة فكان إمام المعتزلة وشيخهم في عصره دُونَ منازع حتى لقب بقاضي القضاة وأصبح لقباً خاصاً به ووقفاً عليه على ما سلف، وفي هذا يقول السبكي (وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ولا يعنون به على الإطلاق غيره)^(١).

أما الحاكم الجشمي والذي يعد عبد الجبار أحد تلاميذه فيقول فيه (وليس تحضرني عبارة تحيط بقدر محله في العلم والفضل فإنه الذي فتق علم الكلام ونشر بروده، ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب وضمنها من دقيق الكلام وجليله مالا يتفق لأحد مثله وطال عمره مواظباً على التدريس والإملاء حتى طبق الأرض بكتبه وأصحابه وبعد صيته وعظم قدره وإليه انتهت الرئاسة في المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها غير مدافع وصار الاعتماد على كتبه ومسائله حتى نسخت كتب من تقدمه من المشايخ وشهرة حاله تغني عن الإطناب في الوصف)^(٢).

ولم يكن الحاكم بدعاً في هذا الثناء بل ذاك أمراً يكاد يطبق عليه العلماء خاصة إذا ما تفاضينا عن اعتزاله ونختم هذه الإمامة بقول الصاحب ابن عباد (الناس يتشرفون بالعلم والعلم يتشرف بقاضي القضاة).

● تلاميذه:

نظراً لأنه قضى فترة طويلة من حياته في الإملاء والتدريس والتأليف فقد كون تلاميذه وأصحابه والناقلون عنه مدرسة ضخمة تضم نخبة من الرجال الذين خلفوا وراءهم دراسات كلامية ثرية، يعتبر معظمها امتداداً لرأي القاضي عبد الجبار.

(١) طبقات الشافعية ٥ / ٩٧.

(٢) نقلاً عن المعتزلة، والفكر الحر ٢٠٢.

وقد أحصى الشريف المرتضى في كتابه «المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل» المعروف (بطبقات المعتزلة)، تلاميذ القاضى عبد الجبار، وعدهم في الطبقة الثانية عشرة، وهي الأخيرة من المعتزلة.

ونقتصر هنا على ذكر أشهرهم:

١- أبو رشيد سعيد بن محمد النيسابورى:

من أصحاب القاضى وأحد تلاميذه الذين درسوا عليه، وإليه انتهت الرئاسة بعد قاضى القضاة وكان القاضى يلقبه بالشيخ ولا يخاطب به غيره^(١).

٢- أبو محمد عبد الله بن سعيد اللباد:

قرأ على قاضى القضاة، وكان خليفته في الدرس وله كتب حسنة منها كتاب النكت^(٢).

٣- أبو الحسين محمد بن على البصرى:

أخذ عن القاضى ودرس ببغداد، وأبرز تلاميذ القاضى وأكثرهم ذكاء والمعية^(٣) وله مؤلفات أشهرها (المعتمد في أصول الفقه).

٤- أبو محمد الحسن بن أحمد بن متوية:

أخذ عن القاضى وهو الذى جمع (المجموع في المحيط بالتكليف) للقاضى عبد الجبار وله كتب مشهورة (كالمحيط في أصول الدين).
و(التذكرة في لطيف الكلام)^(٤).

(١) ، (٢) ، (٣) شرح عيون المسائل ٧٩.

(٤) المنية والأمل ٧١. نقلًا عن مقدمه د. د. لاشين.

٥- الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي؛

أخذ عن القاضي ودرس عليه ببغداد عند انصرافه من الحج، ومن كتبه المشهورة (الأمالي)^(١).

٦- أبو القاسم البستي إسماعيل بن أحمد؛

شيخ الزيدية بالعراق وإليه ينسب المذهب الزيدي فيه، كانت صلته بالقاضي وثيقة وكان جدلاً حاذقاً، وكثيراً ما كان القاضي يحيل عليه إذا سئل في موضع كلامي^(٢).

٧- أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني؛

كان داعية إلى الاعتزال ويقول: لم يبق من ينصر هذا المذهب غيري^(٣) وغير هؤلاء الكثير.

• تصانيفه:

تنوعت آثار القاضي ومؤلفاته بتنوع دراساته وبحوثه، وقد ذكر الحاكم أن له أربعمئة ألف ورقة مما صنف في كل فن. ولا عجب في ذلك فقد قضى حياته في الدراسة والتدريس والتأليف، واتبع القاضي في معظم مؤلفاته طريقة الدرس والإملاء، فألف في الحديث والسيرة والمواعظ وأصول الفقه والفقه والجدل والتراجم وعلم الكلام والتفسير وعلوم القرآن، وإن ضاع أكثرها.

(١) تاريخ بغداد ١١/٤٢٠.

(٢) المنية والأمل ٦٩.

(٣) شرح عيون المسائل ٧٩.

ومصنفاته كما ذكرنا أنواع؛

١- منها في علم الكلام؛

- كتاب الدواعى والصوارف.
- كتاب الخلاف والوفاق.
- كتاب الخاطر.
- كتاب الاعتماد.
- كتاب المنع والتمانع.
- كتاب ما يجوز فيه التزايد ومالا يجوز.
- كتاب المغنى^(١).
- كتاب الفعل والفاعل.
- كتاب المبسوط.
- كتاب المحيط. وقد طبع مرتين.
- كتاب الحكمة والحكم.
- كتاب شرح الأصول الخمسة^(٢).

ب- منها في التفسير وعلوم القرآن؛

- كتاب الأدلة فى علوم القرآن.
- كتاب متشابه القرآن. حققه د/ عدنان زرزور.
- كتاب التفسير الكبير المعروف بـ (المحيط).
- كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن . وقد طبع فى أوائل هذا القرن^(٣).

(١) وسيرد تعريف مفصل بعض الشئ لهذه الموسوعة الضخمة.

(٢) وهو من أوائل الكتب التى طبعت وتمثل اراء القاضى بصورة طيبة وقد حققه د. عبد الكريم عثمان.

(٣) قمنا بتحقيق وضبط هذا الكتاب ونشرته مكتبة الناظفة الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٢٧هـ.

ج- ومنها في الحديث:

- كتاب تثبيت دلائل النبوة. وهو الكتاب الذي بين أيدينا. وسيأتي التعريف به.
- كتاب نظم الفوائد وتقريب المراد للرائد.

د- ومنها في الشروح:

- كتاب شرح الجامعين.
- كتاب شرح المقالات.
- كتاب شرح الأعراض.

هـ- ومنها في أصول الفقه:

- كتاب الاختلاف في أصول الفقه.
- كتاب النهاية.
- كتاب مجموع العهد.
- كتاب العمدة.
- كتاب أصول الفقه.

و- ومنها كتب في النقض على المخالفين:

- كتاب نقض اللمع.
- كتاب نقض الإمامة.

ز- ومنها جوابات مسائل وردت عليه من الآفاق:

- الرازيات.
- العسكريات.
- القاشانيات.
- الخوارزميات.
- النيسابوريات.

ح- ومنها فى الخلاف:

- كتابه فى الخلاف بين الشيخين (أبى على الجبائى وابنه أبى هاشم).

ط- ومنها فى المواعظ:

- كتاب نصيحة المتفهمة^(١).

• وفاته:

أجمع المؤرخون وأصحاب التراجم على أنه عمر طويل، إلا أنهم اختلفوا فى السنة التى توفى فيها.

فالخطيب البغدادي^(٢) يذكر: أن وفاته كانت فى أول سنة خمس عشرة وأربعمائة.

ويذكر المرتضى^(٣) أنه سنة خمس عشرة أو ست عشرة وأربعمائة.

فى حين يذكر ابن الأثير أن وفاته كانت سنة أربع عشرة وأربعمائة وأنه قد جاوز التسعين^(٤).

(١) انظر ابن المرتضى: طبقات المعتزلة وكذلك مقدمة د. لاضين بلاغة القرآن فى أنار القاضى.

(٢) تاريخ بغداد ١١ / ١١٥.

(٣) طبقات المعتزلة ١١٢.

(٤) انظر الكامل فى التاريخ ٩ / ٣٣٤.

التعريف بأهم مصنفات القاضي (٥)

أولاً: المغنى؛

يعد كتاب «المغنى فى أبواب التوحيد والعدل» أهم ما وصلنا من تراث القاضى عبد الجبار، ويقع المؤلف فى عشرين جزءاً تم العثور على ستة عشر جزءاً.

ويعتبر الجزء السادس عشر منه دراسة عميقة مستفيضة حول القرآن الكريم باعتباره أهم دلائل النبوة، وتشمل الدراسة كل ما أثير حول النص القرآنى من حيث جمعه وتواتره، وسلامته من الزيادة والنقص، وفصاحته.

ووجه الإعجاز الأساسى عند القاضى يكمن فى فصاحة القرآن الكريم وهو فى هذا. يسير على درب شيخه «أبى هاشم» فى أن الفصاحة تأتى من جزالة اللفظ وحسن معناه، والفصاحة عند القاضى عبد الجبار تعد مرادفاً للبلاغة والبيان وما على شاكلتهما.

ويرى القاضى عبد الجبار أن مناط التحدى يكمن فى فصاحة النص القرآنى وتركيبه وليس فى النظم وحده.

فليس كل مبتدع طريقة للنظم يعد معجزاً، وليس كل لحن جديد من النظم يعد إعجازاً، فلم يدع أحد أن أول من قال الشعر مثلاً كان معجزاً وأتى بمعجزة.

وقد فند صاحب المغنى دعوى القائلين بالصرفة بأن الله صرف قدرات العرب على أن يأتوا بمثل القرآن وهذا وجه إعجاز له.

إذ أنه يرى أن عجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن أمر خارج عن ارادتهم فالتاريخ سجل لنا نماذج لأناس حاولوا أن يأتوا بمثل القرآن ومع ذلك لم ينجح مسعاهم وباءت محاولتهم بالفشل فعجزهم نشأ عن عدم قدرة وليس عن صرف الهمة.

(٥) عن كتاب المختار من تثبيت دلائل النبوة لصديقنا الأستاذ الشيخ رجب عبد المنصف - مرجع سابق.

فالوليد بن المغيرة على سبيل المثال عجز عن معارضة القرآن وهو من فصحاء العرب، بل عجز عن أن يأتي بمثله سحرا عندما وصفه بأنه «سحر يؤثر».

كما رفض القاضى عبد الجبار أن يكون الإخبار بالغيب هو مناط التحدى. وحجته فى ذلك أنه ليس كل آى الذكر الحكيم إخبارا عن الغيب بل منه ما هو ذلك ومنه ما هو بيان للحلال والحرام والتشريع بعامة ولا يعد من المنطق أن يكون بعض القرآن موضعا للتحدى والبعض الآخر خارج عنه. وليس معنى هذا أنه لا يعتبر الإخبار بالغيب إعجازا بل هو وجه من أوجه الإعجاز خارج عن نطاق التحدى.

ويتناول القاضى عبد الجبار المطاعن التى وجهت للقرآن الكريم فى عدة فصول متتالية سواء ما نبع منها من غير المسلمين أو من تسريل بالإسلام وخالف جوهره.

وهو يرى أن أولئك أشد خطرا على الإسلام من أعدائه.

ومن أبرز القضايا التى ناقشها القاضى عبد الجبار قضية «دعوى التناقض والاختلاف فيما يتصل باللفظ والمعنى» وهى دعوى تتم عن جهل باللغة العربية وطريقها.

ويبدأ المناقشة بعرض رأى شيخه العلاف فى هذه الدعوى إذ يرى الأخير أن العرب حين تنزل القرآن كانت أفصح وأعلم باللغة ممن لحقهم ومع ذلك لم يدع أحد أن فى القرآن تناقض واختلاف من جهة اللفظ والمعنى.

ولو وجدوا ذلك لكانوا أسبق إليه من سواهم.

ثم يعرج بمناقشة تفصيلية للنماذج التى ساقها الطاعنون مفندا إياها وموضحا تهافتها.

وكان من القضايا التى تناولها قضية الإيجاز والاطناب، وقضية تكرار القصص القرآنى فى أكثر من سورة بصياغات متعددة.

وكذلك قضية الألفاظ غير العربية في القرآن الكريم إلخ. وهي في مجملها دعاوى متكررة يتفوه بها المبطلون عن جهل وضلال بغية النيل من الإسلام وكتابه العزيز.

ولما كانت هذه الدعاوى في مجملها معادة نجده يبدأ مناقشة كل دعوى بعرض رأى أحد شيوخه إجمالاً ثم يفصل القول مستنداً إلى ما أفاد من شيوخه أو إلى ما توصل إليه بالمنطق والاستدلال. وعن منهجه فإن السمات الغالب له هو المنهج العقلي الذي يتوافق وطبيعة مذهبه الكلامي.

فنجده يناقش الرأى بالحجة والمنطق العقلي مفندا جزئياته ثم يعرج على ما يمكن أن يثار في الأذهان من شبهات ودعاوى ويعرضه كما لو كان رأيه ثم يتبعه بالتفنيد والدحض.

وتمتاز معالجته للقضايا بالموضوعية العلمية التي تنأى عن التجريح والتطاول.

وإذا كان المنهج العقلي هو السائد فإننا لا نعدم بعض النظرات الأدبية الشافية التي أخذت طريقها في المجالين الأدبي والنقدي فيما بعد ومنها على سبيل المثال رأيه في «النظم» والذي أفاد منه عبد القاهر الجرجاني في دراسته النقدية لنظرية النظم^(١).

ثانياً: كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن

هذا الكتاب من أوائل الكتب الهامة التي ترد على الشبهات التي أثيرت ولا تزال تثار حول القرآن الكريم. فقد تتبع كل ما قيل، وكل ما روج من أباطيل ودفعها وأبطلها بالحقائق الدامغة والأدلة الباهرة والفكر المتفتح والحجج الواضحة والمطالع لهذا الكتاب يرى أن ما يثار الآن ضد القرآن هو نفس ما

(١) - أنظر في ذلك كله ص ١٩٩ وما بعدها من كتاب المغنى.

كان مثارا في الماضي. وكان القاضى برده على خصوم الماضى يرد أيضا على خصوم اليوم.

لذا فإن كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن مرجع هام من مراجع الفكر الإسلامى المتجدد. فالقاضى وأمثاله حملوا راية الدفاع عن الدين وأصوله وردوا كيد أعدائه إلى نحورهم فجزاهم الله خير الجزاء.

وقد وفقنا الله إلى إعادة تحقيق هذا السفر الهام ونشرته مكتبة الناظرة بالقاهرة^(١).

(١) راجع مقدمة تحقيقنا للكتاب ص ٢١/٣.

التعريف بكتاب تثبيت دلائل النبوة (*)

١- قيمة الكتاب:

أطبق المؤرخون والعلماء على الإشادة بكتاب تثبيت دلائل النبوة بصورة تفصح عن مكانته في سماء الفكر الإسلامي، خاصة في مجال الدلائل والبراهين، على الرغم من اختلاف هؤلاء العلماء مع القاضى فى منزعه الفكرى.

ومن هذه الإشادات:

١- قال الحافظ ابن كثير (ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب دلائل النبوة فى مجلدين أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة)^(١).

٢- قال الحافظ الذهبى (صنف دلائل النبوة فأجاد وبرز)^(٢).

٣- فإذا ما تركنا القدماء ونظرنا إلى العلماء المعاصرين وجدناهم مجمعين على تقديره وأهميته.

فعلى سبيل المثال يقول زاهد الكوثرى (ولم نر ما يقارب تثبيت دلائل النبوة للقاضى فى قوة الحجاج وحسن الصياغة فى دفع شكوك المتشككين)^(٣).

والحقيقة أن كتابات القاضى جميعاً إذا ما تفاضينا عن بعض آرائه الاعتزالية التى كانت فى أغلبها وليدة الصراع بين الفكرين الإسلامى واليونانى فى ذلك الوقت - تتسم بالدفاع عن الإسلام فى مواجهة خصومه

(*) الدلالة فى الاصطلاح كون الشئ بحالة يلزم من العلم به العلم بشئ آخر ويسمى الشئ الأول دالا والثانى مدلولاً، دستور العلماء ج٢ ص ١٠٥.

والدلالة بتعبير الكفوى (كون الشئ بحيث يفيد الغير علماً إذا لم يكن فى الغير مانع لمزاحمة الوهم والغفلة) الكليات ص ٢٩. (عن كتاب المختار من تثبيت دلائل النبوة للأستاذ الشيخ رجب عبد المنصف - مرجع سابق).

١ - شذرات الذهب مصدر سابق.

٢- لسان الميزان ج٢ ص ٤٧٢.

٣- انظر مقدمة د. عدنان زرزور لتشابه القرآن.

ومخالفه ودحض ما يلقونه من شبه أو طعون على ما يظهر في (تنزيه القرآن عن المطاعن) و(متشابه القرآن) فضلا عن كتابه الرائع (إعجاز القرآن) وهو الجزء السادس عشر من المغنى^(١). وذلك من خلال نفسه الطويل في التقصى والاستيعاب ثم بكر عليها بقوة عارضته وسلامة منطقته ونفاذ بصيرته وبعد غوره. فضلا عن إشاراته ولمحاته التي تصيب وتحقق الغاية.

٢- موضوع الكتاب:

المتأمل (لتثبيت دلائل النبوة) يلحظ أن الكتاب يقوم بصفة عامة على ثلاثة محاور:

الأول: سيرته ﷺ وما يتخللها من شواهد الصدق ودلائل اليقين على بعثته.

الثاني: ما جاء في القرآن من الإخبار بالغيوب.

الثالث: فضل الصحابة رضوان الله عليهم.

المحور الأول:

إن سيرة الرسول ﷺ وأحواله ناطقة بصدقه مقررة رسالته قاضية باصطفائه حيث أن الشواهد والقرائن والدواعي تمنع نجاح الرسول ﷺ في دعوته أو استمرار رسالته وتوجب استئصاله فإذا ما انتصرت دعوته وسلمت مهجته دل ذلك على أنه مؤيد من قبل الله تعالى محاط بعنايته مكوؤ بحفظه ورعايته الأمر الذي يعنى أنه رسول الله حقا وصدقا.

وفي هذا يقول القاضي (فإنهم زادوا غيظا عليه وصاروا هم واليهود والنصارى والفرس والمجوس يدا واحدة في عداوته وطلب نفسه والحرص على قتله وهم أشد الناس حقدًا وأنفة وجبرية وطلبًا بطائله لا يقارون من عاب

(١) سبق التعريف بهذا الجزء ضمن التعريف بكتاب المغنى.

خيولهم وجمالهم فكيف بمن عاب آلهتهم وأبائهم وعقولهم وضلل أديانهم فعصمه الله منهم وهو رجل فريد بينهم وهو في مثوبة الموت وخندق الخوف وذل اليتيم ووحشة الوحدة لا يعتصم منهم بمخلوق، فصرفهم الله عنه وهذه حاله فلو لم يكن من آياته ودلائل نبوته إلا هذا لكفى وأغنى وزاد.

وقد فصل أحد تلاميذ القاضى وهو الحاكم الجشمى مقصد القاضى هذا في توافر دواعى خصومه لمعارضة الرسول ﷺ وعجزهم عنها ثم انتقلهم إلى محاولة قتله وعصمة الله إياه فقال:

(ثم إنهم قد عدلوا في إبطال أمره إلى الأمور الشاقة العظيمة الخطر، مع أن العاقل لا يجوز أن يعلم حصول مراده وأنه يصل إليه بأسهل الأمور، ثم يعدل عن ذلك إلى الشاق العظيم الخطر، هذا إذا وصل إلى البغية بالسهل والشاق فكيف وبالسهل يصل إليه وبالشاق لا يصل؟ فلولا تعذر المعارضة عليهم لما تركوها إلى الحرب والوسائل الأخرى).

ثم بين أن دواعيهم إلى المعارضة كانت متوافرة على أكمل وجه. وقد عدَّ الحاكم من أقسام الدواعى التى ثبتت فيهم ما يلى:

أولها: أن من قُرِعَ بالعجز عن الشئ ولا مانع فالتقريع محرك له داع، وبخاصة إذا كان المقرع من أهله لأن المنافسة بين الأقارب أشد.

ثانيها: أن يكون المقرع ممن تتم له الرياسة العظيمة.

وثالثها: أن يكون مفارقا لهم عن عادات وأغراض مقيما لطريقتهم مضيفا إليهم النقص كما فعله النبى فقد كان يسفه عقولهم وينم أبائهم ويقبح ما كانوا يدينون به ويهجر آلهتهم.

ورابعها: أن يكون موجبا لطاعته عليهم وانقيادهم له في الأمر والنهى جامعا لهم على رياسة نفسه مبطلا لرياستهم المختلفة.

خامسها: أن يخوفهم بأعظم العقاب ويرغبهم بأعظم الوعد وأن يكلفهم في المال والنفس والحقوق ما تنفر عنه طباعهم.

وسادسها: أن يغض منهم فيما يتفاخرون به من الفصاحة بإظهار مزية القرآن عليهم وكل ذلك داع مع ما جبل عليه القوم من الأنفة والحمية والتباعد من العار.

قال الحاكم ومعلوم هذا من حال العرب فكيف يجوز أن يتمكنوا أو بعضهم من المعارضة فيتركوه^(١).

والمحور الثاني؛

الذي يقوم عليه (تثبيت دلائل النبوة) وهو الخاص بالأخبار بالغيب باعتبارها وجها من أوجه إعجاز القرآن الكريم بجانب جزالة اللفظ وحسن المعنى الذي هو الوجه الأصلي للإعجاز.

وقد أفاض القاضى في بيان دلائله ووجوه إعجازه سواء في كتابه «إعجاز القرآن» أو كتابه الذى تقدم له هنا.

وقد وهم بعض الكتاب المعاصرين^(٢) فظن أن القاضى لا يقول بالإخبار كوجه من وجوه الإعجاز، وقد جاء هذا الوهم نتيجة لعدم تفرقة بين الإعجاز وبين مناهل التحدى فنظرا لأن الإخبار بالغيوب قاصر على بعض السور دون بعض في حين أن التحدى يتعلق بجميع السور، ولم يكن الإخبار داخلا في مناهل التحدى، وهذا لا ينفى كونه معجزا إذ هو وجه من سائر أوجه الإعجاز المتعددة.

ولعل من المناسب قبل أن نستطرد لبيان هذا الأمر أن نعرِّج على معنى المعجزة وما يتعلق بها ثم نعود لموضوع الإخبار بالغيب.

(١) الحاكم الجشمى - عدنان زرزور ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٢) انظر عبد الكريم الخطيب في (اعجاز القرآن) عند تناوله لموضوع الأخبار بالغيب عند القاضى.

تعريف عام للمعجزة وأوجه الإعجاز القرآني

يؤيد الله أنبياءه ورسله بمعجزات^(١) تدل على صدقهم وأنهم مبعوثون من قبله سبحانه وتعالى فهي بمثابة صدق عبدي فيما يبلغ عنى. وهى فى حقيقتها إبطال أو إيقاف لسنة كونية أو ناموس إلهى عن جريانه لمدة محددة هى مدة بقاء الرسالة.

ومن أهم سمات المعجزة وشروطها أن تكون مادتها وموضوعها مما نبغ فيه القوم المرسل إليهم ليكون الإعجاز أبلغ وأتم فى إقامة الحجة ومن أمثلة ذلك عصا موسى ﷺ. التى لقت أحابيل السحرة ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ﴾^(٢).

وكذلك إبراء عيسى ﷺ للأكمة والأبرص وإخبارهم بما يأكلون ﴿وَأُبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٣).

وقد تكون المعجزة فى الأمور المشاهدة، والملموسة، مما لا يحتمل لاجابة أو يقبل مناقشة وذلك كإتيان صالح الناقة. وعدم إحراق النار لإبراهيم وانفلاق البحر لموسى عليهم الصلاة والسلام.

فإذا ما جئنا إلى القرآن الكريم وجدنا الإعجاز فيه متعدد الوجوه مختلف الجوانب، ففيه لكل عصر آية بينة ولكل زمن برهان ساطع ولكل قوم معجزة قاطعة.

تلك هى طبيعة المعجزة وذلك هو معناها، فإذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم معجزة محمد ﷺ فنجد قد نزل والعرب أرياب الفصاحة وفرسان

(١)- المعجزة من العجز وهو التأخر عن الشئ وصار فى العرف إما المقصور عن فعل الشئ وهو ضد القدرة (الراغب فى مفردات القرآن) وفى الإصطلاح خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة.

(٢) سورة طه: آية ٦٩.

(٣) سورة آل عمران: آية ٤٩.

البلاغة الذين لا يشق لهم غبار، إذ البيان مناط فخرهم واللسان معقد عزهم والتفنن في القول طبيعتهم التي بها يجولون وعليها يصلون، فزلزل عقائدهم وسفه أحلامهم. ونعى عليهم الكثير من عاداتهم فنفروا منه أشد ما يكون النفور. وقاوموه بكل ما يملكون من أساليب العنت. فضلاً عن صنوف الإغراء والاستمالة وهم يعترفون له ببلاغته حريصين^(١) على الاستمتاع به خائفين على ذويهم منه^(٢).

كل ذلك والقرآن يقيم عليهم الحجة في أنه ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٣) يتحداهم بأن يأتوا بمثله ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٤) ثم يخبر بعجزهم سلفاً زيادة في التحدى وإثارة في الحمية ليتبينوا عجزهم فيسلموا قيادهم ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٥) فبان عجزهم وظهر عوراهم.

ثم تنزل معهم درجة في التحدى في أن يأتوا بعشر سور مثله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾^(٦) فما رفضوا لذلك رأساً. ثم تنزل معهم درجة أخرى فتحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾^(٧) فما نطقوا ببنت شفة وإنما لجأوا إلى بذل النفس والنفيس ليقضوا عليه.

وهذا وجه واحد من وجوه إعجازه. أعنى النظم والأسلوب وهو ألصق

(١) وصف الوليد بن المغيرة القرآن عندما قرأه عليه الرسول ﷺ أن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وأنه يعلو ولا يعلى عليه.

(٢) كان أبو سفيان والأخنس وأبو جهل حريصين على استماع القرآن سرا حتى إذا ما فضحهم الفجر تلاموا وتعاهدوا على عدم الرجوع حتى لا يراهم ذووهم وفي كل مرة كانوا ينكتون عهدهم ويذهبون لاستماع القرآن.

(٣) سورة هود: آية ١.

(٤) سورة الطور آية ٢٤.

(٥) سورة الإسراء آية ٨٨.

(٦) سورة هود آية ١٣.

(٧) سورة البقرة آية ٢٣.

بطبيعة العرب.. وسليقتهم بينما هناك أوجه أخرى للإعجاز تشمل العرب وغيرهم.. كالإخبار عن الغيب سواء أكان غيباً متعلقاً ببيان أحوال الأمم الغابرة كعاد وثمرود وما إليها وكيف أن صحراء الجزيرة العربية القاحلة كانت في وقت زاهرة بالمياه والقصور وسائر مباحج الحياة وهو ما أكدته الدراسات الجيولوجية والأثرية الحديثة.

أو كانت بياناً لمفاهيم أهل الكتاب التي حرفوها أو أخفوها وجاءت الآيات تبينها وتصحيحها ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (١).

أو كان خبراً عما سيحدث في القريب العاجل، في ظل ظروف وملايسات لا تسمح للبشر بحال من الأحوال بالإعلان عنها، في زمن وجيز، يعرض دعوته للفشل ﴿الْم * غَلَبَتِ الرُّوم * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَعْضِ سِنِينَ﴾ (٢) وقد تحقق كل ما أخبر به القرآن على ما أخبر .

بل إن الإعجاز ليأتي بالإخبار عما ستقوله الضمائر المستكنة لبعض الطوائف في حدث معين، كما في قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفُهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا لِأَهِمُّ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ (٣) ومع هذا يقول اليهود ما سبق وأخبر به القرآن ولا يمنعون من ذلك إخباره بما سيقولون.

كما أن هناك اعجازاً تريوياً - إن صح التعبير - متمثلاً في النقلة الهائلة من حال العرب المزرى الذي كانوا عليه قبل مجئ القرآن، إلى الصورة الوضاعة والمشرقة التي آل إليها أمرهم، بعد نزول القرآن واتباعهم له.

كما أن هناك إعجازاً آخر، وهو الإعجاز التشريعي، فبعد أربعة عشر

(١) سورة المائدة: آية ١٥.

(٢) سورة الروم: الآيات ١-٤.

(٣) سورة البقرة: آية ١٤٢.

قرناً من نزول القرآن لا تجد فيه تشريعاً يناقض مدنية، أو يضاد حضارة جديدة بالبقاء، فكل شرائعه مقيمة لما يعوج من سلوك الإنسان، أيًا كان عصره أو مكانه صالحة لما يجد من أمور الناس، وأحوالهم، لا يضيقون بها ذرعاً، أو تكلفهم عنتاً، بينما قوانين الأرض، وشرائع الناس موقوتة بمدة، محصورة بمكان ضيق، فإذا ما تعداها الزمن، وتجاوزها المكان، ظهر خللها، وبان عوارها. والتاريخ بعصوره المختلفة شاهد صدق على ما نقول، والواقع الذى نعايشه ثقة فى ذلك، فنظرة أيًا كانت طويلة، أو قصيرة، عجلية، أو متأنية، تريك صدق ما نقول وآية ذلك هو التغيير المستمر لقوانين البلد الواحد فى الزمن القصير.

وبجانب كل هذه الوجوه من الإعجاز وغيرها الكثير هناك إعجاز العصر المتمثل فى العلم بمجالاته الرحبة، وميادينه الفسيحة، فما أن يتوصل العلماء بعد جهد جهيد، وبمؤازرة الآلات الدقيقة، والأجهزة الفاحصة، لظاهرة كونية، أو حقيقية علمية حتى نراها فى القرآن مشار إليها موحى بها.

وهنا قد يثار تساؤل مؤداه ما دام الأمر كذلك فلماذا لم يفتن المسلمون إليها ما دام فى القرآن ما يشير إلى ذلك.

والجواب أن هذه الإشارات العلمية الواردة فى القرآن الكريم، والتي تعد إعجازاً ليس الغرض منها تعليم الناس طرق الاكتشاف أو دفع الناس من خلال حفظها إلى الإبداع والاختراع، كلا فإن ميدان الكشف والإبداع مركز فى قدرات الخلق وإمكاناتهم، يتوصلون منها وبها ويتطورهم الفكرى إلى معرفة السنن التى وضعها الله فى كونه وعلمها لبعض خلقه، بما ركب فيه من وسائل المعرفة، وأدوات البحث، فوظيفة القرآن والغرض منه، هداية البشرية وتقويمها، ودفعها إلى الاستفادة مما هيئ لها من إمكانات وطاقات يذخر بها هذا الكون الذى نعيش فيه.

فالفرض إذا من هذه الإشارات العلمية دعوة الناس وتوجيههم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وأن القرآن الكريم هو كلمة الله الأخير إلى أهل

الأرض، عليهم أن يلتزموا بهديه، وخلقه، وأدابه، وقيمه، وأن محمداً ﷺ رسوله الصادق، ونبيه الأمين، وإلا فمن أين يتأتى لمحمد ﷺ أو لقومه بل ومن في الأرض جميعاً أن يأتي بمثله.

الإخبار بالغيب: كوجه من وجود الإعجاز:

يعد الإخبار بالغيب وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم وقد اتفق على ذلك كافة المتكلمين والمفسرين^(١).

سواء من حيث القصص التي وقعت للمتقدمين من الأمم السالفة والمشار إليها بمثل قوله تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾^(٢).

أو تلك التي كانت في رحم الغيب ثم جاءت كما أخبر ووفق ما بين، وأشهرها الإخبار بغلبة الروم وفتح مكة.

ولعل أبلغ هذه الأخبار ما تعلق بالجانب النفسي كالإخبار عما في الضمائر المستكنة وما يدور في خلدنا وما ستفعله وما الذي لا تسطيع له فعلاً أو قولاً.

وقد عقد السيوطي في كتابه (معتكرك الأقران في إعجاز القرآن). مبحثين أو وجهين لعل من المناسب ذكرهما هنا: وهما.

١- الوجه الثامن عشر من وجوه إعجازه ما انطوى عليه من الإخبار بالغيبات.

وما لم يكن وما لم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبره كقوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾^(٣). وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

(١) ومن يخالف في ذلك يقصد المنع من عده وجهاً مستقلاً للإعجاز.

(٢) سورة هود: آية ٤٩

(٣) سورة الفتح: آية ٢٧.

سَيَغْلِبُونَ * فِي بضع سنين ﴿١﴾. وقوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ﴿٢﴾. وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿٣﴾. وقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ الخ، فكان جميع هذا كما قال، فغلبت الروم فارس في بضع سنين، ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما بات كما أخبر ﷺ في بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام، واستخلف المؤمنين في الأرض، ومكن لهم فيها دينهم، وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغرب، كما قال ﷺ: زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاريها، وسيلبغ ملك أمتى منها ما زوى لى منها. وقوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ ﴿٤﴾. وقوله: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ ﴿٥﴾. وقوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يَرْبُوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ الآية، فكان كل ذلك. وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حفلهم وتقريرهم بذلك. كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ ﴿٧﴾. وقوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿٨﴾. ولما نزلت بشر النبى ﷺ أصحابه بأن الله كفاهم إياهم، وكان المستهزئون ينفرون الناس عنه ويؤذونه، فهلكوا. وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعصمكُم مِّنَ النَّاسِ﴾ ﴿٩﴾، فكان كذلك على كثرة من رام ضربه وقصد قتله؛ والأخبار بذلك معروفة معلومة ﴿١٠﴾.

(١) سورة الروم آية ٣-٤.

(٢) سورة الفتح: آية ٢٨.

(٣) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٤) سورة التوبة: آية ١٤.

(٥) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٦) سورة آل عمران: آية ١١١.

(٧) سورة المجادلة: آية ٨.

(٨) سورة الحجر: آية ٩٤.

(٩) سورة المائدة: آية ٦٧.

(١٠) معترك الأقران للسيوطى ص ٢٢٨.

٢٠- الوجه التاسع عشر من وجوه اعجازه:

إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أبحار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعليم ذلك، فيورده النبي ﷺ على وجهه، ويأتى به على نصه، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه. وإن مثله لم ينله بتعليم، وقد علموا أنه ﷺ أمى لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسه ولا بمناقبة، ولم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم.

وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه ﷺ عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه، كقصص الأنبياء مع قومهم، وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزيور، وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك؛ فمن وفق آمن بما سبق له من خير، ومن شقى فهو معاند حاسد، ومع هذا فلم يحك عن واحد من اليهود والنصارى على شدة عدواتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وتقريرهم بما انطوت عليه مصاحفهم، وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيهم إياه، عن أخبار أنبيائهم، وأسرار علومهم، ومستودعات سيرهم، وإعلامهم بمكنون شرائعهم، ومضمنات كتبهم، مثل سؤالهم عن الروح، وذى القرنين، وأصحاب الكهف، وعيسى، وعن الرجم، وما حرم إسرائيل على نفسه، وما حرم عليهم من الأنعام، ومن طيبات كانت أحلت لهم، فحرمت عليهم، قوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ (١).

وغير ذلك من أمورهم التى نزل بها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك - أنه أنكر ذلك أو كذب. بل أكثرهم صرح بصحة نبوته، وصدق مقاله، واعترفوا بعنادهم مع حسدهم إياه، كأهل نجران، وأهل سوريا، وابن أخطب، وغيرهم.

ومن باهت في ذلك بعض المباهتة، وادعى أن فيها عندهم لما حكاه مخالفة دعى إلى دليل، وإقامة حجة، وكشف دعوته، فقيل له: ﴿فَاتُوا بِالتُّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.....﴾ (١) إلى قوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾؛ ففرغ ووبخ.

ودعا إلى إخبار ممكن غير ممتنع، فمن معترف ما جحد، ومتوافق باق على فضيحتة من كتابة يده، ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر بخلاف قوله من كتبه، ولا بدأ بدءا صحيحا ولا سقيما من صحفه، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٢).

هذا هو مسلك المفسرين والعلماء كما يمثله السيوطى وندع القاضى عبد الجبار يبين لنا أسرار وإشارات هذا اللون من الإعجاز الغيبى بصوره المختلفه على أنه من الأهمية بمكان أن نقرر أن القاضى يذكر بجانب الإخبار بالغيب ألواناً أخرى من المعجزات كالأسراء وكانشقاق القمر وغير ذلك من دلائل وآيات.

أما المحور الثالث الذى قام عليه كتاب (تثبيت دلائل النبوة):

فهو الحديث عن فضل الصحابة وبراءة ساحتهم وقد اهتم القاضى بهذا الجانب وشغل جزءاً كبيراً من ردوده على منتقضى الصحابة رضى الله عنهم والآثار الناجمة عن ذلك.

فما أن تظهر مناسبة أو تدنو بارقة إلا ونجد القاضى قد بسط القول فى فضل الصحابة ونزاهتهم وقوة دينهم وعمق إيمانهم وألقى باللائمة على منتقضىهم من الشيعة مبينا فى ذلك أن مذهب الشيعة فى التقليل من منزلة الصحابة والطعن فيهم قد دخل عليهم من دسائس الزنادقة الذين أعياهم

(١) سورة آل عمران: آية ٩٣.

(٢) سورة المائدة: آية ١٥.

ظهور الإسلام ولم يقدرُوا على الإفصاح عما فى دخائل نفوسهم من الطعن على الرسول ﷺ فاتجهوا إلى الصحابة رضوان الله عليهم، خاصة. وقد كان الصحابة هم الذين تم على أيديهم نقض صروح كسرى وقيصر فحمل لهم هؤلاء الزنادقة كل بغض وحقد وأسلموه إلى الشيعة واندسوا بينهم فأذاعه هؤلاء بقصد وردده أوئلك بغفلة.

يقول القاضى: وإنما ذكرنا هذا - فضل الصحابة - لأن اليهود والنصارى والمجوس وأعداء الرسول ﷺ يقولون جهارا بحضرة المسلمين وفى دواوين السلاطين وفى المحافل بحضرة الأمراء والأشراف: أما الإسلام فقد كفيناه ودفع بعضه بعضا وقد كنا نقول سراييننا فى أصحاب محمد ونفسه أشياء تقولها اليوم الشيعة جهارا وتزيد علينا فيه من أصحاب هذا الرجل وأتباعه وأنصاره ما كانت لهم بصيرة فى أمره ولا يقين مع الصحبه، وقد تتبه الجاحظ إلى أصل مذهب الشيعة فى الطعن على الصحابة وأنهم استقوه من هؤلاء الزنادقة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر حيث ينقل عنه القاضى قوله: "وينبغى أن تعلم أن الذين وضعوا هذا إنما قصدوا به رسول الله وأهل بيته لشدة عدواتهم له وتستروا بالتشيع وكان غيظهم على أبي بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعة لأنهم هم الذين اشتهلوا على رسول الله ﷺ فى حياته ونصروه ثم كانوا بعد وفاته أشد نصرة فى دينه منهم فى حياته.

أما عن منزلة الصحابة وعلو شأنهم فيكفى أن نذكر هنا قول القاضى: "إن باطن هذه الجماعة من المهاجرين والأنصار كظواهرهم وسريرتهم كعلانيتهم وإن رسول الله ﷺ كان أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم.

obeikandi.com

صور من
المخطوط

obeikandi.com

obeikandi.com

obeikandi.com

ولم الحرف المدد على انما وزله شعبيته فايدروا فاعلموا ان من هذه الفضة
 الايمان والصدق عايشه جرحها وان كان اذن لطهر ذوقه فيما عايشه
 فاقول لمن الله قد اطعمه واخبره بصدق عايشه وصفوان يا اخيه ما فاته
 ان خبايس اربها هذا الاثارة عاقل تيمان هو يدعى الصدق بقصد
 علمتان المكون طلب الدنيا لا يوسر عودهم ولا هم يوسرهم انما عايشهم
 وسعياتهم وهم يتطوون اسرارهم ولا يطلع عليه الا الوالد بعد الراجدين تقاضيتهم
 من شياهم ومعهم ويعمهم ثم كئاس ان اطهر ذلك اعلى لوجه ودينه ثم
 لا يلبث الاثر الذي هذه سبيله ان يظهر ذلك في من ذلك الملائم حسنة
 ابن حزم ذكر الفقه الذي طمعه عليه وليس للناس اطهار اذ اعلمه ونا
 لم ينزل في الدنيا بغيره بالذين وفيه معاداة الناس منهم وعنائهم به وطب
 غير ذلك انما شديده يفتنون في وقوع ذلك منه ومن لا يفي فيه ولا عاديات
 وقوع الكفر منه ومن يدعى العمه فصغار الامور كره منه وقد شتم عليه
 ما يشبه العيب في الزوبانية عيب في ذنب وتعلق عليه فتشبه الاعمى
 ومنتسبا الكلام وقد كان اعراه صل السكك لم يفتهم من الشبه والقوه
 والمكذبة الطومنا قد عرفها الناس ومع هذا فقد ارتد من ارتد من قبائل العرب
 بعد دينه وناظرهم اصحابه وجاهزهم وطروهم والذين كلفوا من اللذات
 من الارتدين والنافيين ولا اليهود ولا النصارى ان لغتهم اوجه في

obeikandi.com

